(٢٩، ٣٠، ٣١)

الأَعْلَى العَلِيُّ المُتَعَالُ جل جلاله

إذا وقعت المصيبة، وحلت النكبة، وجثمت الكارثة؛ اتجه القلب إلى الأعلى، وارتفعت الأيادي إلى العلي، ونظرت الأعين إلى السماء تنتظر الفرج من العلي الأعلى المتعال.

فربُّنا عز وجل هو: الأعلى والعلي والمتعال، قال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾[الأعلى: ١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[الرعد: ٩].

فربنا الأعلى – العلي – المتعال: الذي لا أعلى منه له العلو المطلق من جميع الوجوه:

❖ علو ذات: فربنا سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، علا على جميع الكائنات، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه:٥].

❖ علو قدر: فهو سبحانه وتعالى ذو قدر عظيم، صفاته صفات كمال وجمال وجلال، فلا يقاربها ولا يماثلها صفة أحد من خلقه، بل لا يطيق العباد أن

يحيطوا بصفة واحدة من صفاته سبحانه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠].

❖ علو قهر: فربنا ﷻ قهر كل شيء، ودانت له الكائنات بأسرها، فالكل تحت قهره وسلطانه وعظمته، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام:١٨].

عَلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَ العَرْشِ مُرْتَفِعًا
مُبَايِنًا لِجَمِيعِ الخَلْقِ مُتَّصِفًا
بِكُلِّ أَوْصَافِهِ العُلْيَا الَّتِي كَمُلَتْ
وَلَيْسَ هَذَا بِحَمْدِ اللهِ فِيهِ خَفَا

❐ أين الله؟!

في «صحيح مسلم» عن الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال:..كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَلَ أُحُد، فاطَّلعت ذاتَ يوم فإذا الذيبُ قد ذهبَ بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف -أغضب- كما يأسفون، لكني صككتها صكةً.

فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّمَ ذلك علي، قلتُ: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائْتِنِي بِهَا!»؛ فأتيته بها، فقال لها: «أَيْنَ اللهُ؟»، قالت: في السماء، قال: «مَنْ أَنَا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

ومعنى كون الله في السماء؛ أي: في العلو فوق السماء، و(في) بمعنى

(على)؛ كما جاء بهذا المعنى في قوله ﷻ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، ولا يتوهم أن السماء تحيط بالله؛ فالله أعظم من أن يحيط به شيء من خلقه.

وأقف هنا -أيها القارئ!- فأقول: هل يجوز وصف الله ﷻ بضد ما وصف به نفسه؛ كوجود الله في كل مكان؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في «مجموع الفتاوى»: "وهو ﷻ وصف نفسه بالعلو، وهو من صفات المدح له بذلك والتعظيم؛ لأنه من صفات الكمال، كما مدح نفسه بأنه العظيم والعليم والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك، وأنه الحي القيوم، ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى.

فلا يجوز أن يتصف بأضداد هذه، فلا يجوز أن يوصف بضد العلو وهو: السفول، ولا بضد القوي وهو: الضعيف.

بل هو ﷻ منزه عن هذه النقائص المنافية لصفات الكمال الثابتة له".

هَـذَا ومِـنْ تَوْحِيـدِهِمْ: إِثْبَـاتُ ... أَوْصَافِ الكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَه فَوْقَ السَّمَاوَاتِ ... العُلَى بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
فَهُوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ ... إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبَيَانِ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ... قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلأَكْوَانِ

قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[الأعراف:٥٤]؟

وذكر الله ﷻ في كتابه نزول جبريل والملائكة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾[القدر:٤]؟ والتنزيل لا يكون إلا من العلو.

وذكر ﷻ أن الملائكة تعرج إليه وتصعد: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾[المعارج:٤]؟

وذكر ﷻ أن الأعمال الصالحة والكلام الطيب إليه يصعدان: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]؟

فإلى من ترفع الأعمال؟

وإذا كان ربنا ﷻ بنفسه في كل مكان؛ فماذا يصنع بالتنزيل؟ -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-.

فربُّنا ﷻ تعالى عن الشبيه والنظير والمثيل والعديل.

وربُّنا ﷻ تعالى عن الصاحبة والولد: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾[الجن:٣].

وربُّنا ﷻ تعالى عن الشريك في ألوهيته: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾[الأعراف:١٩٠].

❐ الطريق..

ومن عرف معنى الأسماء الثلاثة: (العلي الأعلى المتعالي)؛ عرف أن الله ﷻ علي بصفات الكمال، متعال عن صفات النقص، أعلى من خلقه.

ومن أعطى هذا المشهد حقه -معرفةً وعبوديةً- استغنى به، وبلغ العزة والمجد؛ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[مريم:٥٧].

والعُلُوُّ في الدارين يُنَال:

بالإيمان: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾[طه: ٧٥].

وبالعلم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١].

وبالتواضع، صح عنه ﷺ أنه قال: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ» [أخرجه مسلم].

ولما طلب أحد الصحابة ﷺ مرافقة النبي ﷺ في الجنة؛ قال له: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[أخرجه مسلم]، والذكر في السجود: (سبحان ربي الأعلى)، والله ﷻ قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأعلى: ١].

وعلل بعضهم هذا القول في السجود: بأنه غاية في الخضوع والتذلل من العبد بأشرف شيء فيه لله ﷻ، وهو: وجهه؛ بأن يضعه على التراب،

فناسب وهو في غاية سفوله أن يصف ربه بأنه: الأعلى ﷻ.

ولذلك لما كان هذا حال العبد في تلك الهيئة كان أقرب إلى الله سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» [أخرجه مسلم].

❐ بلغت المنى..

وبعد أن علمت أن الأرض تدار من العلي الأعلى ﷻ؛ الذي بيده ملكوت السماوات والأرض..

فيا أيها المريض! الشافي في السماء، ويا أيها الفقير! الغني في السماء، ويا أيها الحزين! الجابر في السماء، أيها العقيم! الوهاب في السماء، أيها المدين! الرزاق في السماء، أيها المغموم! الفتاح في السماء..

فتوجه بقلبك ووجهك إلى السماء، وادع الله العلي الأعلى، وأبشر بما يسرك؛ فقد بشرت من فوق سبع سماوات بقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُودِ وَالمَجْدِ وَالعُلا
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

إِلَهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي
فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ

إِلَهِـي تَـرَى حَـالِي وَفَقْـرِي وَفَـاقَتِي

وَأَنْـتَ مُنَاجَـاتِي الخَفِيَّـةَ تَـسْمَعُ

إِلَهِـي لَـئِنْ خَيَّبْتَنِـي أَوْ طَرَدْتَنِـي

فَمَـنْ ذَا الَّـذِي أَرْجُـوْ وَمَـنْ لِـي يَـشْفَعُ

اللهم! إنا نسألك باسمك الأعلى: أن تعلي شأننا في الدنيا والآخرة.